﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ [الأنعام: 130]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

أتبعَ محاورةَ الولاءِ بينَ الإنسِ والجنّ بمحاوَرةٍ حاصِلُها مُعاداةُ مَنْ ضرَّتْ مُعاداتُه

لَمّا نقلَ لَنا الحقُّ ﷻ في الآيةِ السّابقةِ محاورةَ الجنِّ والإنسِ وما نتجَ عَنها منَ الضَّرَرِ والخُسرانِ "وكانَ حاصِلُها أنّها موالاةُ مَنْ ضرّتْ مُوالاتُهُ، أتبعَها سبحانَهُ بمحاورةٍ أخرى حاصِلُها معاداةُ منْ ضرّتْ معاداتُهُ"[1]، فجاءَ بهذهِ الآيةِ وصدَّرَها بِنداءِ الجنِّ والإنسِ؛ إتمامًا لما كانَ منَ الآياتِ السّابقةِ منَ التَّوبيخِ والتَّقبيحِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَقُصُّونَ﴾: فعلٌ دالٌّ عَلى الحالِ والاسْتِقبالِ، مُسنَدٌ إلى الجَمَاعَةِ؛ الجَذرُ اللُّغَويُّ منهُ (قصص)، وهوَ أصلٌ يَدُلُّ عَلى تتبُّعِ الأثرِ حتّى يعلمَ صاحِبُهُ أينَ يكونُ، والقَصَصُ: الأخبارُ الَّتي يَتبَعُ بعضُها بعضًا، كقولِه تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: 3] أي: نُبيِّنُ لكَ منَ البَيانِ أحسنَهُ، مِنْ قَولِهم قَصَّ الخبرَ، أي: جاءَ بالقصّةِ[2]، والقَصُّ اقْتفاءُ الأثَرِ، ومنهُ القِصَّةُ وهي مَعروفَةٌ، وهيَ الأمرُ والحديثُ. ومعنى ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ﴾، أي: يُخبرونَكُم بأدلةِ تَوحيدِي وصِدقِ أنبيائي، والعملِ بما أمرتُهم والانتهاءِ عمّا نَهيتُهم[3].

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 7/271.

(2) ابن دريد، جمهرة اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفاظ: (قصص).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/120.

2) ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾: فعلٌ ماضٍ؛ الجَذرُ اللُّغويُّ مِنهُ (غرر)، أصلٌ يدُلُّ على الغَفلةِ ونُقصانِ الفِطنةِ، والغَرُّ منَ الخداعِ، يُقالُ في المؤمنِ إنَّه غِرٌّ كريمٌ، وهو الَّذي يلبّيكَ مُسرِعًا مُنخدِعًا لِلينِهِ وانْقيادِهِ، والغرورُ ما يغرُّ الإنسانَ كالجاهِ والمالِ والشّهوةِ، وقد فُسِّرَ بالشَّيطانِ أيضًا، وبالدُّنيا الَّتي تَضرُّ وتَغرُّ، ويُقالُ: غرَّتهُ الدُّنيا، أي: خدَعَتهُ بزُخرُفِها وزينَتِها[1]. والمعنى في الآيةِ: لأجلِ استيلاءِ حُبِّ الدُّنيا عَلى قلوبِهِم أعرَضوا عَنْ حقيقةِ الدّينِ واقْتصَروا عَلى تَزيينِ الظَّواهرِ لِيتوسَّلوا بِها إلى حُطامِ الدُّنيا[2].

المَعْنى الإجْماليُّ:

تَقريعُ الكافرينَ عَـلى عَـدَمِ إيـمـانِـهِـم، وإعراضِهِم عنِ الـهُـدَى المـرسَلِ إلَيهِم

في يومِ الحشرِ ينادي الحقُّ ﷻ معشرَ الجنِّ والإنسِ كلَيهما مُقرِّرًا لَهما: ألمْ يأتِكُمْ رُسُلٌ مِنْ جِنسِكُم - فهُمْ منَ الإنسِ - يَتلونَ عَلَيكُم ما أنزلَ اللّهُ عَلَيهم وما أجْرى عَلى أيديهِم مِنْ نِذاراتٍ، وبِشاراتٍ؟ وليسَ لَهم إلا أنْ يُقرّوا بالشهادةِ على أنفسِهِم بالتَّبليغِ والإنذارِ، فكذَّبوا وجَحَدوا، وخَدعَتهُمُ الدُّنيا بزينَتِها، وأقَرّوا عَلى أنفسِهِم أنَّهم كانوا في الدُّنيا كافرينَ باللّهِ وبرُسُلِهِ، ولنْ ينفعَهُم هذا الإقرارُ ولا الإيمانُ، لِفواتِ وقتِهِ[3].

وفي الآيةِ ذمٌّ لَهم على سوءِ نَظَرِهِم وخَطَأِ رأيِهِم، فإنَّهمُ اغْترّوا بالحياةِ الدُّنيويَّةِ ومَلذّاتِها، وأعرَضوا عنِ الآخرةِ بالكليَّةِ، وفيها تَحذيرٌ للسّامعينَ مِنْ مِثلِ حالِهِم[4].

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (غرّ).
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/24.
(3) جماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 144.
(4) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 2/183.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الفَصْلِ في الآيةِ:

تَـعْـدَادُ جَـرائـمِ الكافرين مُفضٍ إلى خـلـودِهِـمْ، وإبـــطـــالِ مَـعـذرتـهـمْ، واسْتحقاقِهِمُ العقابَ

قولُه تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ جملةٌ مفصولةٌ عمّا سبقَتها؛ لأنّها واقِعَةٌ في مَقامِ إحصاءِ جرائمِهِمْ وذُنوبِهِمُ الَّتي كانتْ سببًا في اسْتحقاقِهِمُ الخلودَ في النّارِ، فأبطلَ مَعذِرتَهمْ؛ وفيها إعلانٌ وتقريرٌ على أنَّهُم مَحقوقونَ بِما جُزُوا به[1] مِنْ غَيرِ ظُلمٍ ولا طُغيانٍ، فكانَ ذلكَ أحرى أَنْ يُؤْخَذُوا بالعَذابِ والعِقابِ.

تَوجِيهُ الاسْتئنافِ البَيانيِّ في الآيةِ:

حـالُ الـظّـالـمينَ عندَ القُدُومِ على اللهِ يومَ القيامةِ صَعبٌ عسيرٌ

وقولُهُ تَعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ ناشئٌ عنْ سؤالٍ يخطرُ على بـالِ مَـنْ يقرأُ الآياتِ الَّتي قبلَها أوْ يسمعُها؛ ومفادُ هذا السُّؤالِ: ما حالُ هؤلاءِ الجائرينَ ممّنْ تولّى بعضُهمْ بعضًا في الدّنيا بما كانوا يقترفونَ منَ الأوزارِ والخطايا إذا قدِموا على اللّهِ يومَ القيامةِ[2]؟ فيكونُ الجوابُ أنَّ هؤلاءِ ينادَوْنَ ويسألُهمُ الحقُّ ﷻ عنْ دعوةِ الرُّسُلِ لإقامةِ الحُجَّةِ عليهمْ وما يترتَّبُ عَليهمْ منَ الجزاءِ جزَّاءَ مُخالَفَتِها.

دَلالةُ التَّعبيرِ بالنِّداءِ في المَطْلَعِ:

رُبَّ نـداءٍ أشـدُّ منَ التَّوبيخِ

والتَّعبيرُ بالنّداءِ في قولِه تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ دَلالةٌ على التَّوبيخِ والتَّقريعِ؛ لِيزدادَ المُنَدَّدُ عَلَيه رَوعًا وهلَعًا[3].

سِرُّ نِداءِ الجنِّ والإنسِ بإضافةِ مَعْشرٍ نداءً واحدًا:

عندَ وُقوعِ الموالاةِ تـذهـبُ الـفـروقُ وتلتحمُ المُلَمَّات

وسِرُّ نِدائِهم جميعًا بصيغةٍ واحدةٍ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ﴾ ولم يفصلْ بينَ الجنِّ والإنسِ، أنّهُ عاملَهم كالجنسِ الواحدِ؛ لموالاةِ بعضِهم بعضًا ولاتّباعِ بعضِهم بعضًا، ولإظهارِ أنَّهما خَلقانِ مُختلِفانِ في الصُّورةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ75.
(2) رضا، تفسير المنار: 8/92.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ75.

والطَّبيعةِ والقُدُراتِ، ولكنَّهُما مُتشابِهانِ في الغايةِ والمصيرِ، فقدْ خُلِقا لِعبادةِ اللّهِ تعالى وطاعتِهِ، وهُما محاسَبانِ على أفعالِهما يومَ القيامةِ، وهُما مَجزِيَّانِ بالجنَّةِ أو النّارِ بِحسَبِ أعمالِهما؛ فاللّهُ تعالى يُناديهِما بنداءٍ واحدٍ لِيُذَكِّرَهُما بِنعمتِهِ عَلَيهِما بإرسالِ المُرسَلينَ لَهُما، ولِيوَبِّخَهُما عَلى تَكذيبِهِما رُسُلَهُ وتَجاوزِهِما حُقوقَه.

تَوجيهُ نِداءِ الجِنِّ والإنسِ:

وجهُ نداءِ الجنِّ والإنسِ في قَولِه تَعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ في ذلكَ اليومِ المُريعِ تَبكيتُ المشركينَ، وتحسيرُهُم على ما فرَّطوا في حيَاتِهمُ الدُّنيا منْ عبادتِهمُ الجنَّ، أوِ الالتِجاءِ إلَيهِمْ والاسْتعانَةِ بِهِم[1].

النّـداءُ مُـؤذِنٌ بِتَبكِيتِ المُشرِكِينَ وَتَقْرِيعِهِمْ

تقديمُ الجنِّ عَلى الإنْسِ:

وقدّمَ الجنَّ على الإنسِ في قولِهِ تَعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾؛ لأنّ الآيةَ مَسوقةٌ لِبيانِ غَلبَتِهِم[2]، ولأنَّ الإنسَ كانوا أولياءَ للجنِّ مُنقادينَ لَهم، خاضِعينَ لِسُلطتِهِم.

الـجـنُّ أَصْـلُ الشَّرِّ والغَوايةِ والأسْـبـقُ في الخلْقِ والوُجودِ

وقدّمَ الجنَّ على الإنسِ لأنَّ الاستغواءَ كانَ مِنهُمْ؛ فهُمْ أكثرُ غَوايةً[3]، ثمَّ استجابَ الإنسُ لِغَوايتِهِمْ؛ فالجنُّ أساسُ الشَّرِّ في ذلكَ؛ فَهُمُ المَوسوسونَ بِالشَّرِّ وهمْ مَنْ دعا إليهِ؛ ولذلكَ قُدِّموا في سياقِ اللَّوْمِ أنْ أهملوا دعوةَ الرُّسلِ[4].

عِلَّةُ الحذْفِ في جُملةِ النّداءِ:

وجملَةُ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ مقولُ قولٍ محذوفٍ تقديرُهُ: يومَ يَحشرُهُمْ فيُقالُ: يا مَعْشَرَ الجنِّ والإنسِ[5]، فحذفَهُ اسْتِغناءً بالواردِ، وهوَ النداءُ.

قد يُغنِي المذكورُ عنِ المحذوفِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/77.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 7/271.
(3) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 1/343.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2672.
(5) الهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 9/73.

بَلاغةُ الاستفهامِ في الآيةِ:

اسْـتِـفـهـامٌ تَقريريٌّ داخِلٌ عَلى نَفْيِ الأمْرِ المُقَرَّرِ عَلَيهِم

وقولُهُ تَعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِى﴾ جاءَ بالاستفهامِ إثرَ النِّداءِ مُباشَرةً، والهمزةُ فيهِ للاستفهامِ التَّقريريِّ؛ وهوَ سؤالٌ عنْ نفيِ مجيءِ الرُّسُلِ إليهمْ، فقد أرسلَ اللّهُ تعالى إليهمُ الرُّسُلَ مُبَشِّرينَ ومُنذِرينَ، غيرَ أنَّ المظنونَ في جوابِهِمْ سيكونُ بالنَّفيِ، فجاءَ بأسلوبِ التَّقريرِ، فإذا أقَرّوا بالإثباتِ كانَ ذلكَ أقطعَ لأعذارِهِم في أنْ يؤاخذَهُمُ اللّهُ بذنوبِهم هذهِ، فإذا كانتْ لهُم شُبْهَةٌ في المُقرَّرِ عَليهِم ارتَبكُوا وتلعثَموا وتبيَّنتْ أفعالُهمْ فأُخِذُوا بها[1].

والاستفهامُ في الآيةِ يَحملُ معنى التّوبيخِ والتّقريعِ؛ فإنَّ الحقَّ ﷻ أرسلَ إليكمُ الرُّسُلَ لِينبِّهوكُمْ عَلى مُرتكَباتِكُمْ، ويُقيموا لكمُ الحُجَجَ البالغةَ، لكنَّكمْ لمْ تَقبلوا ولمْ تتَّعظوا ولمْ تَعتَبِروا[2].

فائِدَةُ تَنْكِيرِ الرُّسُلِ:

تَفخيمُ الرُّسُلِ وتَكْثِيرُهُمْ أدْعَى إلى أخْذِ المُعْرِضينَ بالعَذابِ

جاءَ بلفظةِ الرُّسُلِ نَكِرةً في قولِهِ تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾ وفائدةُ التَّنكيرِ للتَّعظيمِ، والتَّفخيمِ، والتَّكثيرِ[3]، وذلكَ أدْعَى إلى أخْذِهِمْ بالعذابِ وإقامةِ الحُجّةِ عَليهِمْ؛ فقدْ أرسلْنا لَكُمُ الرُّسُلَ الكثيرةَ لكنَّكمْ لمْ تُؤمِنوا وتَمادَيتُمْ، فما جَزاؤكمْ إلّا العذابُ المُهينُ.

بَديعُ وصْفِ الرُّسُلِ بـ ﴿مِّنكُمْ﴾:

مَقامُ الرّسالةِ لا يكونُ إلّا في أشرافِ الإنسِ؛ فَفي الوصْفِ زيادةُ إقامةِ الحُجّةِ عَليهِم

أردَفَ كلمةَ ﴿رُسُلٌ﴾ بقولِه ﴿مِّنكُمْ﴾، فهيَ لَيستْ لِلتَّبعيضِ منَ الفريقَينِ؛ إذْ يَمتنِعُ أنْ تكونَ الرُّسُلُ منَ الجنِّ؛ لأنَّ ظاهرَ النُّصوصِ الشَّرعيّةِ يدُلُّ عَلى أنَّ الرُّسُلَ منَ الإنسِ فقطْ، فَمَقامُ الرِّسالةِ لا يكونُ إلّا في أشرافِ الإنسِ والملائكةِ، ولا يكونُ منَ الجنِّ؛ لِانحطاطِ رُتبتِهِمْ عَنْ رُتبَةِ الإنسِ، وإنّما ساقَ الوصْفَ لزيادةِ إقامةِ الحُجّةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ75.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/120 - 121، وابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، ص: 94.
(3) المطعني، التّفسير البلاغي للاستفهام: 1/343.

عَليهِمْ، أيْ أنَّهمْ رُسُلٌ تعرفونَ صِفَاتِهِمْ وتَسمعونَ كلامَهمْ[1]، مِثلَما تَقولُ لِلمخاطَبِ: لَستُ منكَ ولَستَ منِّي، فلا تَبعيضَ هنا البتَّة.

دَلالةُ (مِن) في قولِهِ تعالى: ﴿مِّنكُمْ﴾:

التّبعيضُ مِنْ مجموعِ الجِنسَين، فيَصدُقُ عَلى أحدِهما؛ وهو الإنسُ تَغليبًا

وتَحتمِلُ (مِنْ) في قَولِهِ: ﴿مِّنكُمْ﴾ أن تكونَ دالَّةً عَلى التَّبعيضِ مِنَ الإنسِ تَغليبًا، فالمرادُ مِنْ مجموعِ الجنسَين، فَيصدُقُ عَلى أحَدِهما وهوَ الإنسُ؛ إذ لَيسَ في الجنِّ أَنْبِياءُ ورُسُلٌ، وإنَّما قدْ يكونُ مِنهُم نُذُرٌ، وهذا قولُ جمهورِ أهلِ العِلمِ، قالَ تَعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف: 109]، وقالَ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان: 20]، وقالَ تَعالى عَنْ إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: 27]، ولأنه يَبعُدُ أنْ يُرسِلَ الحقُّ ﷻ رُسُلًا مِنَ الجنِّ عَلى وجهِ التَّحقيقِ، أو مِنْ جِنْسِهِم حقيقةً[2]

وإن وردَ سؤالٌ كيفَ قالَ ﴿مِّنكُمْ﴾، والرّسلُ من الإنسِ خاصَّةً لا منَ الجنِّ؟ فالجوابُ عنْ ذلكَ أنَّ التَّبعيضَ هنا عَلى طَريقةِ قَولِهِ تَعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢﴾ [الرّحمن: 22] وإنّما اللّؤلؤُ والمرجانُ يخرجانِ مِنَ البحرِ المِلحِ دونَ العذبِ فكأنَّكَ قُلتَ: خروجُهُ مِنْ بَعضِهما[3].

عِلَّةُ جمعِ الرُّسُلِ بقولِهِ تعالى: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾:

دعـوةُ الأنبياءِ واحدةٌ وآياتُهم ذاتُ غايةٍ واحدةٍ

وقولُهُ تَعالى: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ جاءَ بوَصْفِ الرُّسُلِ مَجموعًا؛ لأنَّ الأنبياءَ "قَصّوا آياتِ الأنبياءِ في مَجموعِهِمْ، لا في آحادِهِمْ، وبذلكَ كانتِ الآياتُ بينَ يدي الجنِّ والإنسِ معلومَةً ظاهرةً بيِّنةً تدعوهُمْ إلى الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخِرِ"[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ76.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/163، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/302، والزّحيلي، التّفسير المنير: 8/45.

(3) الفرّاء، معاني القرآن: 1/354، وابن جرير، جامع البيان: 12/121.

(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2674.

تَوجيهُ المتشابِهِ اللَّفظِيِّ:

اختيارُ مُفرَدةِ القَصِّ والتِّلاوةِ بحسَبِ السِّياقِ

قالَ تَعالى هنا: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾، وقالَ تعالى في الزّمر: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزّمر: 71].

فذكرَ في آيةِ (الأنعام) أنّهُ أتبعَ بعضَ الظّالمينَ بعضًا في النّارِ، ثمَّ أتبَعَ بعضَ الآياتِ بعضًا فيما دارَ مِنْ حِوارٍ مع الإنسِ والجنِّ؛ فالسّياقُ في الإتباعِ؛ فناسبَهُ أنْ يعبِّرَ بقولِه: ﴿يَقُصُّونَ﴾؛ لأنَّ القصَّ في اللُّغةِ بمعنى الإتباعِ[1]، ولمّا كانَ المتكلِّمُ هوَ الحقَّ ﷻ ناسبَهُ إضافةُ الآياتِ إلى الضَّميرِ العائدِ عَلَيه ﴿ءَايَٰتِى﴾.

أمّا آيةُ الزُّمَرِ فقد سبقَهَا قَولُهُ: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر: 70] وهوَ كلامٌ يُتلى وليسَ مِنْ بابِ القَصَصِ والإتباعِ، بلْ هوَ تَذكيرٌ مِنْ خزَنَةِ جهنَّمَ لِمَنْ كفرَ باللهِ وبربوبيَّتِهِ تَعالى، فأَقَرّوا وسَلَّموا وكانتْ إجابَتُهُم (بَلَى).

بَلاغةُ الكِنايةِ في ﴿يَقُصُّونَ﴾:

أُريدَ بالقَصِّ الإخبارُ عنِ وَحْدانيَّتِهِ تعالى ووَعْدِهِ ووَعيدِهِ

والتَّعبيرُ بقولِه: ﴿يَقُصُّونَ﴾ مِنَ القَصَصِ وهوَ الإخبارُ، والمغزى يُخبرونَكُمُ الأخبارَ الَّتي تدُلُّ على وحدانيَّتِهِ تَعالى، ويبَلِّغونَكُمْ بما جاءَ بِهِ الرُّسُلُ منَ الأمرِ والنَّهيِ والوَعدِ والوَعيدِ، وتَسميَتُهُ قَصًّا؛ لأنَّ الأكثرَ فيهِ الإخبارُ عنْ صِفاتِهِ تَعالى وعَنْ رُسُلِهِ وأُمَمِهِمْ، وما حلَّ بِهِمْ نَعيمًا أوْ عذابًا[2].

وَجْهُ إيثارِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ على (لَكُمْ):

يُومِئُ التَّعبيرُ إلى عُلُوِّ المكانةِ وسُموِّ الرُّتبةِ والمقامِ

في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ آثرَ التَّعبيرَ بالمتعلِّقِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ على (لَكُم)؛ لأنَّهُ قصُّ الكتبِ "المنزَلَةِ عَليكم المبيِّنَةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قصص).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ78.

لأصولِ الإيمانِ وصالحِ الأعمالِ وفاسدِها"[1]، والتَّعبيرُ بـ (عَلى) يشي بِعُلُوِّ المنزلَةِ وسُموِّ المقامِ، فضلًا عمّا يُلمَحُ فيهِ منَ الإلزامِ، والإيجابِ[2].

دَلالةُ إضَافةِ الآياتِ إلَيهِ تَعالى:

اشتمالُ الآياتِ الشَّرعيَّةِ والكونيَّةِ الدّالَّةِ عَلى الخَلْقِ والأمْرِ

قَولُهُ: ﴿ءَايَٰتِي﴾ نَسَبَ الآياتِ إلَيْهِ ﷻ؛ لأنَّ المتكلِّمَ هُنا هوَ الحقُّ ﷻ، وهذهِ الآياتُ هيَ آياتُ اللّهِ الشَّرعيَّةُ الواضحةُ المشتملةُ عَلى الأمرِ والنَّهيِ وبيانِ الخيرِ والشَّرِّ، وآياتُهُ في الكونِ مِنْ خَلقِ السَّمَاوَاتِ والأرضِ، وتَسخيرِ ما في الأرضِ وإرسالِ الرُّسُلِ بالبيِّناتِ؛ لِتَعريفِ الإنسانِ بربِّهِ وعبادتِهِ، والبَعْثِ والجزاءِ والعقابِ وغَيرِها[3]، فناسبَ ذلكَ إضافتُها إلَيهِ تَعالى؛ لتعمَّ في دلالتِها الشَّرعيَّةِ والكونيَّةِ.

عِلَّةُ اصْطِفاءِ لَفْظِ الإنْذارِ:

تَمَحُّضُ المخاطَبينَ لِلشَّرِّ ناسبَهُ الإنْذارُ

أورَدَ لفظَ الإنذارِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ﴾ وهوَ خبرٌ بما يُخيفُ أو يُكرَهُ وهوَ نقيضُ البشارةِ، وعلّةُ اصطفاءِ هذا اللَّفظِ أنّ اللِّقاءَ يومَ الحشرِ يتضمَّنُ لأهلِ الشَّرِّ شرًّا، ولَمّا كانَ هؤلاءِ المخاطَبونَ قدْ تمحَّضوا لِلشَّرِّ ناسَبَهُ أنْ يجعلَ إخبارَ الرُّسُلِ إيّاهُمْ بِلقاءِ ذلكَ اليومِ إنذارًا[4].

نُكتَةُ التَّعبيرِ عنِ القَصِّ والإنْذارِ بِالمضارعِ:

أثرُ القَصِّ والإنْذارِ مُتجدِّدٌ في خِطابِ المدْعُوِّين

ووردَ الفعلانِ في قَولِهِ: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ﴾، و﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾ بِصيغَةِ المضارَعةِ؛ لإفادَةِ التَّجدُّدِ والاستمرارِ في فعلَي القَصِّ، والإنذارِ؛ وهُما فعلانِ يَحصلانِ في حياتِهِمُ الدُّنيا، وَلا سيَّمَا إذا لوحِظَ صِدقُ النَّبيِّ وأمانتُهُ في التَّبليغِ، وحِرصُهُ عَلى إيصالِ رسالةِ اللّهِ إلى قومِهِ، وَاسْتِنفَاذِ الوسائلِ والأساليبِ الممكِنَةِ لِهداياتِهِمْ، إذ يقومُ بِدعوةِ قومِهِ بِالحِكمَةِ والموعظَةِ الحسنَةِ، وبيانِ أنَّهُ رَسولٌ منَ

(1) عبد الحميد الخطيب، تفسير الخطيب المكّيّ، ص: 14.
(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 1/343.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/121، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (قصص).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8أ/78.

اللّهِ يدعوهُمْ إلى عِبادَتِهِ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وتحذيرِهِمْ مِنْ عذابِ اللّهِ إنْ كفَروا بِهِ، ثمَّ ما يتبعُ ذلكَ مِنْ دعوةِ قومِهِ بالجدالِ والحُجَّةِ، وردِّ شبُهاتِهِم وأعذارِهِم، وإثباتِ باطِلِهِم وضلالِهِم، وتقديمِ البراهينِ والآياتِ عَلى صِدقِهِ وصلاحِ دعوتِهِ، وهذا كلُّهُ يحتاجُ إلى صَولاتٍ وجَولاتٍ وتَكرارٍ وتجدُّدٍ واستمرارٍ في إخبارِهِمْ بآياتِ اللّهِ الواضحةِ المشتمِلَةِ عَلى الأمرِ والنَّهيِ، وبيانِ الخيرِ والشَّرِّ، ويُنذرُهُمْ لقاءَ عذابِ اللّهِ يومَ القيامةِ.

وَجْهُ التّعبيرِ بقولِهِ تعالى: ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾، دونَ (يخوّفونَكُمْ):

الإنــذارُ تحذيرٌ يَشوبُه مَكروهٌ سَيقَعُ

آثرَ الحقُّ سبحانَهُ التَّعبيرَ في الآيةِ الكريمةِ بالفعلِ: ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾، ولمْ يقُلْ: (يُخَوِّفُونَكُمْ)؛ لِبَيانِ وتصويرِ أنَّ الرُّسُلَ ﷺ لا يريدونَ إلَّا بلاغَ الرِّسالةِ وتبيينَ الحقِّ مِنَ الباطلِ، وأنَّهم لا يتحكَّمونَ في قلوبِ النّاسِ ولا يُجبرونَهم عَلى الإيمانِ أو الكفرِ، بلْ يتركونَ لَهمُ الخيارَ والحريةَ في اتِّباعِ دَعْوَتِهِمْ أَوْ رَفْضِهَا، وهذا حالُ رُسُلِ اللّهِ كافّةً: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [النّساء: 165]، فالإنذارُ بمعنى التَّحذيرِ مِنْ مَكروهٍ سَيقعُ، وبمعناهُ جاءَ سائرُ ما وقعَ مِنَ التَّركيبِ في القرآنِ الكريمِ بصيَغٍ كثيرةٍ: كالفعلِ (أنذرَ) ومضارعِهِ وأمرِهِ[1]، وهو أسلوبُ خطابٍ أدَبيٍّ فيهِ مراعاةُ نَفسيَّةِ المتَلقِّي؛ وهوَ أرقى في الخطابِ مِنَ التَّخويفِ والتَّرهيبِ؛ فالتَّخويفُ هوَ إثارةُ الخوفِ والفَزَعِ في نفسِ المخاطَبِ بطريقةٍ قدْ تكونُ مُبالَغةً، وهوَ يؤدِّي إلى الكراهيَةِ أوِ العِنادِ أوِ التَّمرُّدِ.

فاللّهُ تعالى بِهذا البَيانِ عنِ الرُّسُلِ يُثني عَليهم بِأنَّهم يُنذِرونَ النّاسَ مِنْ لِقاءِ يومِ القيامةِ وما يحصُلُ فيهِ، الَّذي هوَ حقٌّ ولا مفرَّ مِنهُ، وأنَّهم يُبشِّرونَ المؤمنينَ بالجنَّةِ ويُحذِّرونَ الكافرينَ مِنَ النّارِ، بغَيرِ غِلظَةٍ أو قَسوةٍ؛ كما وصفَ خاتَمَهُم ﷺ بِقَولِهِ: ﴿فَبِمَا

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نذر).

رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران: 159]

تَوْجِيهُ الكِنايَةِ في قَولِهِ تعالى: ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ﴾:

سُمّيَ الحَشْرُ باللّقاءِ لملاقاةِ الأهوالَ والأوجالَ

وقولُهُ تَعالى: ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ﴾ كِنايةٌ عَنْ يومِ القيامةِ، وأنّ ذلكَ اليومَ يَطلبُكُم طَلبًا حثيثًا سريعًا؛ فتصيرونَ إليهِ في مواخرِ الأيامِ ومعابرِ الآثامِ مِنْ غيرِ شعورٍ مِنكُم لِسُرعةِ سيرِكُم فيهِ[1].

والتّعبيرُ عن اليومِ باللّقاءِ لما يلاقونهُ مِنَ الأهوالِ والمحنِ والأوجالِ، وعادةُ العربِ أنْ تذكرَ اليومَ؛ ومرادُها ما يحصلُ فيهِ؛ لأنَّ الزمنَ بنفسهِ كباقي الأزمانِ، ومنهُ قولُ نبيِّ اللّهِ لوط ﷺ: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود: 77][2].

وَجْهُ إيثارِ اسْمِ الإشارةِ ﴿هَٰذَآ﴾:

عَدَلَ عنِ الوصفِ إلى الإشارةِ تَهويلًا لأمرِ اليومِ

آثرَ ذِكرَ اسمِ الإشارةِ في قولِهِ تَعالى: ﴿يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ﴾؛ تهويلًا لأمرِ ذلكَ اليومِ ومُشاهداتِهِ الجسيمةِ، فلا تحيطُ العِبارةُ بوصفِهِ لِشدَّتِهِ وهَولِهِ وفَظاعَتِهِ؛ فعدلَ عنِ الوصفِ إلى الإشارةِ[3] كقولِهِ تَعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الطّور: 14].

وإيثارُ اسمِ الإشارةِ الدّالِّ عَلى القريبِ ﴿هَٰذَاۚ﴾؛ لِلدَّلالةِ على إحاطةِ ذلكَ اليومِ بِهِم، وتلبُّسِهِم بِهِ[4]، وقُربِهِ مِنهُم وتحقُّقِ وُقوعِهِ.

وَجْهُ الاستئنافِ في ﴿قَالُواْ﴾:

في القَولِ جوابٌ عَنْ سؤالٍ يَعرِضُ ردَّهُمْ بعدَ إقرارِهِم بمجيءِ الرُّسُلِ

وقولُهُ تَعالى: ﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ جملةٌ مستأنَفةٌ ناشِئةٌ عَنْ سؤالٍ مقدَّرٍ، فماذا كانَ ردُّهُمْ بعدَ إقرارِهِمْ بمجيءِ الرُّسُلِ وإنذارِهِم لقاءَ هذا اليومِ، وتوبيخِهِم وتقريعِهِم؟[5]، فكانتْ إجابتُهم

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 7/272.
(2) الشّنقيطي، العذب النمير: 2/273.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ78.
(4) المطعني، التّفسير البلاغي للاستفهام: 1/343.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/186.

بفعلِ القَولِ ﴿قَالُواْ﴾، بعدَ أنْ تبيَّنتْ لَهمُ الحقيقةُ؛ حقيقةُ عِصيانِهِمُ الرُّسُلَ وإعراضِهم عنْ لِقاءِ هذا اليومِ.

بَراعةُ التَّعبيرِ بالماضِي ﴿شَهِدْنَا﴾:

شَـهـادةُ الكفّارِ بقبائِحِهم بعد إنـزالِ محاسِنِ الله بهم إقرارٌ لا فِرارٌ

التَّعبيرُ بصيغةِ الماضي في قولِهِ تَعالى: ﴿شَهِدْنَا﴾؛ لِلدَّلالةِ على أنَّ إقرارَهم هذا عَلى أنَّه تَعالى قدْ فعلَ بِهم منَ المحاسنِ في الزّمنِ الماضي، وأنَّهمُ ارْتَكَبوا في حقِّ أنفُسِهم منَ القبائحِ والموبقاتِ[1] في الزّمنِ الماضي، وهوَ زمنٌ دالٌّ عَلى التَّحقُّقِ والثُّبوتِ وأَنَّهُ حصلَ وانْصرَمَ ولا مجالَ للتَّنصُّلِ منهُ، ولهذا جاءَتْ شهادتُهم لِلدَّلالَةِ عَلى جَزْمِهِمْ بأنَّهم كانوا ضالّينَ؛ لِما عاينوا مِنْ قَوارِعِ الحقِّ بقلوبِهم، وأبصارِهِم[2].

دَلالةُ استِعمالِ الشّهادةِ بمعنَى الإقرارِ:

شَهادتُهم إقرارٌ بإتيانِ الرُّسُلِ إليهِم

استعملَ لفظَ الشَّهادَةِ في قولِهِ تَعالى: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ بمعنى الإقرارِ؛ لأنَّ الأصلَ في الشَّهادةِ إخبارٌ عنْ أمرٍ تحقّقَ منهُ المخبرُ وأظهرَهُ، ومنهُ قولُهُ تَعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18]، ويُقالُ شهدَ عليهِ بمعنى أخبرَ عنهُ على جهةِ الثّبوتِ والتّحقُّقِ؛ فالشّهادةُ هنا بمعنى الإقرارِ بإتيانِ الرُّسُلِ إليهم، وهوَ لا ينافي إنكارَهُمُ الشِّركَ في قولِه: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: 23]؛ لاختلافِ المخبَرِ عنهُ في الآيتَينِ[3].

تَوجِيهُ جُملةِ الاعتراضِ:

الاغْـتِرارُ بالحياةِ الـدُّنـيـا عِـلَّـةُ عِصيانِ الرُّسُلِ والإعْـــراضِ عـنِ اليومِ الآخِرِ

قولُهُ تَعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ جملةٌ معترضةٌ بينَ ﴿قَالُواْ﴾ و﴿وَشَهِدُواْ﴾[4]؛ فإنَّهم لَمّا عصَوا الرُّسُلَ وأَعرَضوا عنْ لقاءِ اليومِ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 7/272.
(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 1/343.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ79.
(4) الهرري، تفسير حدائق الرّوح والرّيحان: 9/73.

الآخِرِ، فعَلِموا وعلمَ السّامِعُ والمخاطَبُ "أنَّهمْ ما وقَعوا في هذهِ الرِّبقَةِ إلَّا لأنَّهمْ غرَّتهمُ الحياةُ الدُّنيا، ولولا ذلكَ الغُرور لَما كانَ عملُهمْ ممَّا يرضاهُ العاقِلُ لِنفْسِه"[1].

وفي الجملةِ المعترِضةِ تَجليةٌ لارتكابِهِمُ القبائحَ في الدُّنيا، وإلجائِهِمْ في الآخرَةِ إلى الاعترافِ بِكُفرِهِمْ، ووجوبِ العذابِ المقرَّرِ عليهِمْ؛ وهوَ قدحٌ فيهِم، والمعنى أنَّهُمُ اغترّوا بالدَّنيءِ مِنْ دُنياهُمْ وباللّذّاتِ الفانيةِ، وأعرَضوا عنِ النَّعيمِ المُقيمِ، وارتكَبوا الموبِقاتِ؛ فجرَّهُمْ إلى العذابِ الأبَديِّ الَّذي أُنذِروا بِه[2].

بَلاغةُ المجازِ العقليّ في إسْنادِ ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾ إلى ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾:

التَّعبيرُ بقولِهِ تَعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ لا يرادُ منهُ الحياةُ الدُّنيا نفسُها، إنَّما زينتُها وطلَبُ رياسَتِها والمنافسةُ عَلَيها[3]، والمرادُ بالحياةِ الأحوالُ الَّتي تنتظِمُها كَاللَّهْوِ والفَخرِ والتَّكبُّرِ والعِنادِ والاسْتخفافِ، وأنْ يَغترّوا بما لا نفعَ منهُ؛ وفي ذلكَ كشفُ أحوالِهِمْ وتحذيرُ المخاطَبينَ منَ التَّورُّطِ فيما وَقَعوا فيه[4].

بيانُ الاغْترارِ بزِينةِ الحياةِ، وتَحذيرُ المخاطَبينَ منَ التَّورُّطِ فيها

دَلالةُ تَركيبِ ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾:

التَّعبيرُ بتركيبِ: ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ باللَّفظَينِ معًا لَهُ دَلالةٌ خاصّةٌ، فيردُ هذا التَّركيبُ على إرادةِ تصويرِ الإنسانِ وهوَ مستغرِقٌ في هذهِ الحياةِ، غيرُ حريصٍ على ما بعدَها، مُغترٌّ بأهوائِها وشهَواتِها وكأنَّها الحياةُ السَّرمديَّةُ، والحقُّ أنَّها ليستْ إلّا الحياةَ الفانيةَ، لا الحياةَ السّاميةَ؛ فقدَ قرنَها الحقُّ سبحانهُ في غيرِ مَوضِعٍ بالغُرورِ والاغترارِ؛ فهيَ تَغرُّ بصاحبِها فتوردُهُ مواضِعَ الهلاكِ[5].

تَصويرُ الإنسانِ المستَغرِقِ في الحياةِ المغترِّ بأهوائِها وشَهَواتِها

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ79.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/186.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/123.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ79.
(5) عودة خليل، التّطور الدّلالي بين لغة الشّعر الجاهلّي ولغة القرآن الكريم، ص: 349 - 350.

تَوجِيهُ الاكْتِفاءِ بذِكرِ ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾:

لا يُذكرُ المعلومُ سِياقًا إلّا لِنُكتةٍ

اكتفى بذكرِ ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ مِنْ ذكرِ المعاني المتعدِّدَةِ، والأسبابِ المتنوِّعَةِ الَّتي غرَّتهُم وخدَعَتهُم فيها؛ إذ كانَ في ذِكرِها مُكْتَفًى عنْ ذِكرِ غيرِها، لِدَلالةِ الكلامِ على ما تُرِكَ ذِكرُهُ[1].

تَوجِيهُ الاستئنافِ في قولِه تعالى: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾:

تَقبيحُ صَنيعِ الظّالمين بشَهادَتِهم على أنفُسِهم

الواوُ في قولِهِ تَعالى: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ استئنافيّةٌ تصدَّرَتْ تَذييلَ الآيةِ، وفيها نَعيٌ عَلَيهم بما ساءَ مِنْ صَنيعِهم بعدَ الفراغِ مِنْ أخبارِ يومِ القيامةِ ومَشاهدِها، وفيها تقبيحٌ وشَنارٌ عَلَيهم، ثُمَّ تحذيرٌ لِلسّامِعينَ مِنْ مِثْلِ أحوالِهم[2].

سِرُّ تَكرارِ ذِكرِ شَهادَتِهم عَلى أنفُسِهم:

شَهادتُهمُ الثّانيةُ ذمٌّ لَهُم، وبيانٌ لِعَمَى بَصيرَتِهم

وفي قولِهِ تَعالى: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بعدَ قولِهِ: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ تَكرارٌ لِلشّهادةِ، فيُسألُ عنْ سرِّ هذا التَّكرارِ؟ والجوابُ عنْ ذلكَ أنّهُ ليسَ بِتَكرارٍ؛ لاختلافِ المقصَدِ والفَحوى؛ فإنَّ الشّهادةَ الأولى حِكايةٌ لِقولِهِمْ وبيانٌ لاعترافِهِمْ، أمّا الثّانيةُ فذمٌّ لهمْ وتقريعٌ، وتخطئةٌ لِرأيِهِمْ، وتَصويرٌ لِعجزِ بصيرَتِهِمْ؛ فهُمْ قومٌ أغوَتْهُمُ الحياةُ الدُّنيا ولذّاتُها فكانتْ عاقبتُهُمْ شهادتَهُمْ عَلى أنفُسِهِمْ، فكانتْ مَدعاةً لاستيجابِ العذابِ[3].

دَلالةُ الإخبارِ في جُملةِ الشّهادةِ:

في الخبرِ تَعجيبٌ مِنْ حالِهِمْ، وذمٌّ لإعْراضِهِم عَنْ تَدَبُّرِ العَواقِبِ

معنى الخبرِ في قولِهِ تَعالى: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ "مُستعمَلٌ في التَّعجيبِ مِنْ حالِهِمْ، وتَخطئَةِ رأيِهِمْ في الدُّنيا، وسوءِ نظَرِهِمْ في الآياتِ، وإعراضِهِمْ عَنِ التَّدبُّرِ في العَواقبِ"[4]، والخبرُ مُرتَّبٌ على ما سبقَهُ من اغترارِهِمْ؛ فإنَّهُ السَّببُ في مَصيرِهِمْ وشهادتِهِمْ عَلى أنفُسِهِمْ.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/123.
(2) الطّيبي، فتوح الغيب: 6/249.
(3) القاسمي، محاسن التّأويل: 4/495.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ79.

بَلاغةُ التَّوكيدِ بأنَّ والجُملةِ الاسميَّةِ:

ذُيِّلَتِ الآيةُ الكريمةُ بقولِهِ تَعالى: ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾، وصُدِّرَتْ بـ (أنَّ) المؤكِّدةِ الدّاخلةِ عَلى الجملةِ الاسميَّةِ، وجاءَ المسنَدُ إليهِ مُعرَّفًا وهوَ الضَّمير؛ لبيانِ تمامِ الاعتناءِ بمضمونِها؛ ولأنّهمْ كانوا مُضطربينَ في مَوقفِهمْ، فمرّةً ينفونَ عنْ أنفُسِهمْ الكُفرَ ومَرّةً يُثبتونَهُ[1]، فلمّا كانَ هذا حالَهُم مِنَ التَّردُّدِ أكَّدَ الآيةَ دفعًا لتوهُّمِ مَنْ يَظنُّ أنّهمْ عَلى خِلافِ حالِهمْ منَ الكفرِ والعِصيانِ، وزادَ على ذلكَ أنْ عبَّر بالفعلِ ﴿كَانُواْ﴾ الدّالِّ عَلى جِبلَّتِهمُ الكُفريَّةِ وطَبيعَتِهمُ الشِّركيَّةِ.

مِـنْ أحـوالِـهـم الاضـطـرابُ في المـوقِـفِ نَـفـيًا لِلكُفرِ، وإثْباتًا

ويَحتملُ حَشْدُ التَّوكيداتِ الإيحاءَ بتيقُّنِهم مِنْ كفرِهم، والتَّسجيلَ عَليهم بهذهِ المقابِحِ الَّتي حذَّرَتهُمُ الرُّسُلُ منها، وكانوا في فُسْحَةٍ منَ الأجَلِ، فلمْ يُقيموا لِتوجيهاتِ الرُّسُلِ وَزْنًا، ولا لنُذُرِهمْ قيمةً حتّى ماتوا وهُمْ كافرونَ[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الشّهادةُ) و(الإقرارُ) و(الاعترافُ):

الشّهادةُ هيَ العلمُ بوجودِ الأشياءِ؛ ولهذا فإنَّ ما يُدرَكُ بالحواسِّ ويُعلَمُ ضرورةً يسمّى شاهِدًا، أمّا الإقرارُ فهوَ التَّكلُّمُ بالحقِّ اللّازمِ عَلى النَّفسِ شرطَ أنَ يوطِّنَها عَلى الرُّضوخِ والاستسلامِ والانقيادِ، والاعترافُ إقرارٌ وإنْ كانَ خاليًا منَ التَّوطينِ، وقدْ يكونُ باللِّسَانِ وبغيرِهِ[3]، وعلى ذلكَ فالاعترافُ أقلُّ منَ الإقرارِ، وفي كلٍّ فإنَّ الشَّهادةَ أبلغُ في إيصالِ المقصودِ، فشهادتُهمْ على أنفسِهمْ منْ بابِ العلمِ اليقينيِّ كأنّ الأمرَ مُشاهَدٌ محسوسٌ؛ لأنَّ أصلَ الشّهادةِ هيَ

الشّـهـادةُ إدراكٌ بـالـحـواسِّ وهـيَ أبـلـغُ في القَصْدِ، والإقرارُ تـكـلُّـمٌ بـالـحـقِّ مـعَ الانـقـيـادِ، والاعـتـرافُ بلا انقيادٍ

(1) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 7/3949.
(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 1/344.
(3) العسكري، الفروق اللغوية: 305، 65.

الرؤيةُ بأنَّهمْ عصَوا الرُّسُلَ وتنكَّبوا طريقَ الهدى والإيمانِ، فكانَ التَّعبيرُ بالشَّهادةِ مرَّتينِ: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ أليقَ بِالمَقَامِ والسِّياقِ، وأنسبَ لِتَصْوِيرِ حالِهِم.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»